المرأة وتمثّلاتها في الخطابين السنّي والشّيعيّ

د. محمود بن حمد الرواحي/ جامعة الشرقية
D. Mahmoud bin Hamad Al Rawahi/ Al-Sharqiyah University

تاريخ استلام البحث:
Date of Submission :
2024 – 02 – 06

تاريخ القبول:
Date of acceptance :
2024 – 05 – 28

تاريخ النشر الرقمي:
Date of publication online :
2024 – 05 – 30

الملخص

يعتمد خطاب الشعر على السياقات الثّقافيّة بتنوّع واسع للمقاصد والمفاهيم، وبمنطوقات تستجيب للموجّهات الثقافيّة المختلفة، ويتّخذ العمل الفنّي منها مادة اختلافه، وحين يتعلّق الأمر بالشّعر فهو لعبة أفكار في توزيع وتصوير، وضمن هذه السياقات مثّلت المرأة موجها موضوعيّا في خطاب الأفراد والجماعات الشعريّ، لمكانتها ودورها منذ ولادة فكرة الحبّ والأمومة، وقد مثّلت السّيدتان عائشة زوجة النبي محمّد عليه، وابنته فاطمة أنموذجين بارزين في تشكيل تمثّلات خطاب الشعر في مرجعيّة مذهبيّة؛ شكلت من قرب كل منهما من النبيّ، ومكانتهما وتضحيتهما، وقيمهما بمرجعيّة الخطابين السّني والشّيعيّ. وقد تشكلت هذه التمثلات من الكثير من جوانب حياة الشخصيّتين ومآثرهما الأخلاقيّة، ومكانتهما في نفوس المؤمنين، ودورهما في حياة النبي وأصحابه من بعده، فصّور الشعراء هذه الجوانب في الوصف والمدح والرثاء. نأمل أنْ تطرح الورقة أبرز هذه التّمثلات بالمنهج التحليليّ من خلال نماذج شعريّة. فما دور الأنساق الثقافيّة في تشكيل خطاب الشعر، وكيف تجلّت تحولات المرأة في الإسلام، وما أهم تمثلات السيدتين؛ عائشة وفاطمة في خطاب شعر المذهبين.

الكلمات المفتاحية: الخطاب، الموجهات، السني، الشيعي، التَّأويل، التّمثّلات.

Women and their representations in Sunni and Shiite discourses

Abstract

Poetic discourse depends on multi-purpose cultural contexts, and with words that respond to cultural trends, and when it comes to poetry, it is a game of ideas in distribution and depiction. Women have represented the objective guide in poetic discourse since the birth of the idea of love and motherhood. The two ladies, Aisha and Fatima, represented two prominent models in shaping representations of poetic discourse within the sectarian reference of their status, and their sacrifice based on the reference of the Sunni and Shiite discourses. These representations were formed from many aspects of the lives of the two characters, their moral deeds, their position in the hearts of believers, and their role in the lives of the Prophet and his companions after him. Poets depicted these aspects in descriptions, praise, and lamentations. We hope that the research will present the most prominent of these representations through the analytical approach through poetic models. What is the role of cultural patterns in shaping poetic discourse, how were women's transformations manifested in Islam, and what are the most important representations of the two women? Aisha and Fatima in the poetry of the two sects .

Key words: Discourse, directions, Sunni, Shiite, interpretation, representations

المقدّمة

ما يخلقه التّطوّر النفسيّ من مادّة الموقف الإنساني دافع إلى الاقتراب من الخلْق للنجاة من الاندثار الإنسانيّ؛ وهو ما تحاوله الدراسات النفسيّة في جوانبها المتعدّدة، ويحمل الخطاب الكثير من المؤشرات الثقافية في مختلف السياقات، ورسالة الخطاب هي دالّ على مُنشئ يعكس هذه السياقات التي ينتجها المحيط والتطور بكل صوره. والمرأة من الركائز التي لا يمكن تجاهل دورها في صناعة المواقف التي يدور حولها السياق الثقافي في المجتمعات البشريّة.

فاعلية خطاب الشعر بتحقّق شعريته المرتبطة بمساحة التّأويل، ولا يمكن أنْ يفتح فنٌّ أدبيّ آخر للقراءة مثل ما فعل الشّعر؛ لقيامه على جعل القراءة أكثر توتّرا، والمبدع يمثّل مركّبا من نزعات متعارضة. وإبداعه نتيجة حساسيّة الموقف تجاهها، ويكون التلقي ــ بخلاف أشكال الخطاب الأخرى ــ متعة كبيرة كذلك في اكتشاف هذه العلاقات، ومحمولات السياق الثقافي، هذا السياق الذي يصنعه المحيط بأبعاده ذات الموجهات الإنسانيّة والاجتماعيّة والدينية. وتمثل ثقافة المجتمعات الإسلامية بتعدد مذاهبها واحدا من النماذج الأكثر تأثيرا في صناعة الخطاب الشعريّ المؤسس على مكانة المرأة والموقف منها، ولهذا نجد في أنموذجي خطابي الشعر السُّني والشيعيّ الكثير من السياقات الثقافيّة التي ولدتْ منها منطلقات الخطاب الشعريّ. فكيف يقوم الشعر بهذا الاختلاف ؟، وما أهم المنطلقات التي تشكّلت منها تمثّلات المرأة في هذين الخطابين ؟، وإلى أي مدى يصل هذا التّأثير في تشكيل الخطاب الشعريّ ؟.

العلاقات البشريّة التي يختزلها الفنّ ترتبط بالمؤثّر ودوره في توجيه الخطاب الملفوظ، وحين يتعلّق الخطاب بما هو عميق ومتجذّر في الذّوات، باعتباره مصدرا ومكوّنا أساسيّا؛ فما سيتحقق العمل الفنّي به هو منطلقات توّظف الدلالة النسقيّة نتيجة المحيط الثقافيّ بكل اختزالاته في المذهبين السّني والشّيعيّ، إضافة إلى دور المقوّمات الفكريّة في المذهبين فيهما، وقد اخترع الشعر كثيرا من الموروثات النسقيّة التي أنتجها الفكر المذهبي وتطوّره بعد ظهور الإسلام وظهور هذه المدارس بأوجهها الفقهيّة والسّياسيّة، وغيرها ممّا يوجّه التّمثلات في الخطاب الشعريّ.

السّيدة عائشة مثلا ذات قيمة ترتبط بالنّبي ﷺ ذاته بعيدا عن الإطار التاريخيّ والاجتماعيّ المدنيّ؛ ومن هنا كانت مكانتها في تشكيل خطاب الشعر كما نجد ذلك في تجربة حسّان بن ثابت. هذا الارتباط يتجاوز العلاقة والاختيار إلى الاصطفاء في المذهب السّني؛ فهي همزة وصل ببيت النبوّة؛ والشّك في هذا شكّ في تصرّف النبي ﷺ من الجانب الذي يمسّ الإيمان به، ولذا فهي رمز الطّهر والنقاء، وقد انتقل هذا الموقف جيلا عن جيل حتى يومنا هذا. وعلى الرغم من تأثير كثير من النساء والرجال في محيط حياة النّبي ﷺ من جوانب مختلفة؛ نجد أنّ ما يصوّره الخطاب الشّعري ينطلق من كونها الأكثر ظهورا وتأثيرا، وهذه المكانة أجبرت الشاعر/ الرجل على أنْ يحترم ما استدعته مكانتها من النبي محمّد ﷺ؛ وإلّا فالأمكنة والمواقف استحوذ عليها الرجال؛ ولو لم يكن التشكيل من موقف المكانة والتقديس لكانت المرأة خارج إطار الاحتفاء الشّعريّ، مقابل ما كان يوظّفه الشعر في جانبه الآخر لدى كثير من الشعراء في خطاب الهجاء الذي ينطلق من تأثير المرأة باعتبارها أمّا أو زوجة سيّئة؛ شكّلت فحولة الرجل قبل الإسلام تجاوزاته في الذمّ والهجاء، والذي يرتبط بالجزء السّيء في الرجل، مع أنه لم يكن للحبّ معنى من غيره؛ فقيس جمال كلّ شيء بها، واكتسبت الأشياء المحسوسة شهرتها بتشبيه المرأة بها كجمال القمر وعيون المها.

فاطمة الزّهراء تمثّل الطهر وحبّ أهل البيت في خطاب الشعري الشّيعيّ، بل هي أيقونة الإصلاح التي تحرّك مشاعر المؤمنين المحبّين لبيت النّبي محمّد ﷺ، ولهذا الحب جذوره، ولهذا التقديس والتّمثّل تاريخه، والذي صنع مادّة شعريّة في شعراء خلّدوا هذه المكانة في تجاربهم حتى عصرنا الحالي؛ كما نجد ذلك لدى دعْبل الخُزاعيّ وغيره. وقد وظّف الخطاب النسب الذي يحقّق استمراريّة هذه المكانة حتّى يومنا هذا، ومهما كان الخلاف الفكريّ قائما بين السّنة والشيعة؛ لكنّ ذلك لا يمكن أن يغيّر مكانة شجرة النّسب هذه التي تمثّل الزهراء أحد جذورها وإنْ اختلف التوظيف الذي ينحو بالخطاب إلى غايات مختلفة، ولهذا كان كل فريق يبني خطابه الشّعريّ على أسس الموقف والولاء، فكان الفكر مادّة الخطابين السّني والشّيعيّ.

سنحاول أن نتتبّع بالمنهج التحليلي بعض التجارب الشعريّة؛ لتحديد بعض هذه المنطلقات التي شكّلت أهم تمثّلات المرأة في الخطابين السّني والشيعيّ، ولا تزعم هذه العُجالة من خلال هذه النماذج الوصول إلى الكثير من هذه المنطلقات؛ ولكن اختيار السيدتين؛ عائشة وفاطمة جاء من الفاعليّة الأيقونيّة التي تشير إلى كثير من التأثير الثقافي والبناء النّسق العام، للمكانة البارزة التي يمثّلانها في الفكرين.

أولا: الأنساق الثقافيّة وفاعليّة التوظيف الشعريّ

يستطيع هذا المنطلق أنْ يفتح لكثير من الأسئلة مسارات بحثيّة متعدّدة لا تنتهي، إذ ما يخلقه التّطوّر النفسيّ من مادّة الموقف الإنساني لا ينتهي إلا بانتهاء الإنسان، وأكثر ما تحتاجه البشريّة اليوم في تسارعها العلميّ والثّقافيّ هو الاقتراب من الخلْق الذي يحميها من التّصلب والموت الشعوريّ، ولهذا نجد الدّراسات النفسيّة تحاول مواكبة هذا التّسارع مع محافظتها على الأسس الإنسانيّة في جوانبها المتعدّدة.

ما يوظّفه الخطاب يكون موجّها لتحقيق رسالة؛ هي في الأصل دالّ ظاهر على معيّن مباشر، ويعتمد هذا الخطاب على السياقات الثّقافيّة في النّظام اللفظيّ الذي يشير إلى تنوّع واسع للمقاصد والمفاهيم، ومن خلال تفاعل أطرافه في النّسق الاجتماعيّ يتمّ اختيار منطوقاته استجابة للموجّهات الثقافيّة المختلفة(٥)، وهنا يكمن دور

المحيط الثّقافيّ والمؤثّرات والتّطور الثقافيّ الذي ينظّم هذه المؤثّرات؛ في أنْ تكون قادرة على توجيه الخطاب وتلقيه، أو أنْ تكون قاصرة؛ فيتراجع أو يضعف أمام خطاب أو اتّجاه آخر.

في اختلاف الشعر عن غيره ما يوجّه التّوظيف إلى خصوصيّة التّلقي، فمن ناحيتين يمكن أنْ نقول شيئا عن هذا الاختلاف، وبإيجاز شديد؛ فإنّ لغته تمتلك طاقة التّحوّل في تواصلها مع الكائنات(٢٥)، ومن ناحية ثانية فإنه يؤدّي إلى ما وراء الشّعريّة، وهو مجال آخر يتعلّق بمساحة التّأويل وما فتحته للدّراسات الحديثة من مجال للبحث والتّقصي، نجزم أنّه لا يمكن أنْ يفتح فنٌّ أدبيّ آخر للقراءة مثل ما فعل الشّعر، ولهذا فما وصله الشعر ــ على الأقل إلى اليوم ــ يجعل القراءة أكثر توتّرا من ذي قبل، فالشعريّة مرتبطة بإقلاق التّلقي ليكون أكثر حذرا في التعامل معها.

والمبدع مركّب من نزعات متعارضة؛ كونه كان بشريّا يمثّل حياته، ويمثّل عمليّة إبداعيّة، ومن عمله هذا نفهم فنّه، فهو بخلاف الآخرين لا يؤدّي وظيفة بصفة رسميّة، ويشترك مع غيره في جوانب لحاجة الفنّ لشحنة من الحياة الرّوحيّة الجمعيّة مقابل الحياة الشّخصيّة(١)، فالمادّة التي يشترك فيها مع الآخرين تتحوّل من خلال الفنّ إلى عمل إبداعيّ هو نتيجة حساسيّة الموقف تجاهها، فالعمل الفنّيّ مقياس هذا الاحتكاك والتعامل مع كل الموضوعات والمفردات المحيطة به، تلك التي لا يستطيع غيره فهم اشتباكاتها مع الذات، أو حتّى نوعيّة الموقف منها، والذوات الأخرى جزء أكبر من هذا المحيط، وفي ظلّ هذه العلاقات تصبح الموضوعات والمفردات أكثر حساسيّة وتغييرا للمواقف والاتّجاهات.

يختفي المبدع خلف الظاهر، ويتّخذ العمل الفنّي من الرّموز والصّور متنفّسا عن الرغبات، ويخلق منها علاقات بعيدة وغريبة، وهو ما يحقّق المتعة لدى الفنّان في إخراج عمله إلينا(١)، ويكون التلقي متعة كبيرة كذلك في اكتشاف هذه العلاقات، وملاحقة تركيب السّياق الفنّي المختلف، وحين يتعلّق الأمر بالشّعر فهو لعبة أفكار في توزيع يحقّق الفنّية بالاتّزان، ولهذا فخصوصيّة الخطاب الشّعري تأتي من جهتين؛ توظيف العلاقات الغريبة، وتوزيع الخطاب الدلاليّ، ونعني به الإيقاع المحقّق للمعنى، والعلاقة بين التلقي والتركيب الشّعري ــ كما أشرنا ــ فنّيّة مرتبطة بحبّ الخطاب واختلافه في تشكيل العلاقات بينه وبين القراءة، وكما يرى طودوروف كذلك فإنّ « العلاقة بين الشّعريّة والتّأويل هي بامتياز علاقة تكامل «(١٧)، حيث الشّعريّة والاختلاف في توجيه الخطاب، بمعنى آخر؛ الاختلاف الموازي للشعريّة يتحقّق بما يثيره من تأويل، ولهذا فالملفوظ في السّياق بؤرة دلاليّة يتقن الشّعر توجيهها في توازٍ صوتيّ دالّ.

الكلمات الحسيّة التي يستخدمها الشّاعر؛ لا يمثّل بها صورة المحسوسات، بل هي تصّور ذهني له دلالته وقيمته الشّعوريّة، ولا يمكن الوصول إلى الأداء الحسيّ بهذه الكلمات الحسيّة، وإنّما يوظّفها الشّاعر لإثارة الدّهشة فينا(١)، أو لأنه يختفي خلفها، ويعتمد كثيرا على إشعاعاتها الدلالية وكيميائيّتها النفسيّة، ولكن هذه البؤرات ليست كلها بنفس المستوى التّأثيري، فالعلاقات البشريّة التي يختزلها الفنّ ترتبط بالمؤثّر ودوره في توجيه الخطاب الملفوظ، والمرموز، « معظم مفردات اللغة هي كلمات معجميّة أو أسْماء ترجع إلى أشياء. لكن معظم هذه الأشياء أفاهيم مجرّدة، وليست موجودات محسوسة في العالم «(١٣)، وما يقوم به الخطاب الفنّي هو الخلق، والعمل على صنع علاقات مختلفة لم تكن موجودة من قبل، يصير موقع البؤرة الدلاليّة توجيها مختلفا عن طبيعة التواصل اللفظّي البشريّ، وحين يتعلّق الخطاب بما هو عميق ومتجذّر في الذّوات، باعتباره مصدرا ومكوّنا أساسيّا؛ فما سيتحقق العمل الفنّي به أكثر من كونه رمزا أو إشارة، وهو ما سنحاول أنْ نعرضه عن تمثّلات المرأة في الخطابين السّني والشّيعيّ.

ثانيا: تحوّلات مكانة المرأة في المجتمع الإسلامي

من خلال العبارة يمكننا أن نصل إلى منطلقاتنا في هذه العجالة، وهي توظيف الدلالة النسقيّة التي طرحها الغذّامي في قراءته للأنساق الثقافيّة العربيّة، ومنها سنحاول دراسة بعض هذه التّمثلات في الخطاب الشّعريّ؛ كونه « المخزن الخطر للأنساق المُضمرة والأصل المستتر بالجماليّات عبر الأجيال وفي أنواع الخطاب»(١١) كما يرى، ويلزمنا تتبّع بعض المقوّمات الفكريّة في المذهبين ليكون الطرح في ميزان الخصوصيّة والاختلاف بين الخطابين، ونعني به ذلك التشكيل الفكري المرتبط بالموقف من المرأة، فقد اخترع الشعر كثيرا من الموروثات النسقيّة وغرسها ثقافيّا لتصير سمة المؤسّسة النخبويّة الثقافيّة والرّأسماليّة، والناتج الثقافيّ لقبولنا بالنموذج الشّعريّ هو شعريّة القيم، فتشرّبت المؤسسة الثقافيّة بهذه القيم وبرّرت تصرّفها من المدخل الجماليّ(١٠)، ولا نريد محاكمة الشّعر هنا، وإنْ كنّا لا نختلف كثيرا مع الغذّاميّ، إذ الحالة الجماليّة حالة كونيّة شاملة، وعلاقة الشعر بالعالم ــ بعيدا عن موقف أفلاطون من الشعراء ــ علاقة شائكة ترتبط بالحضارة في استقرارها واضطرابها.

علاقة الإنسان القديمة بالأرض لفتتْ انتباهه إلى مكانة المرأة؛ تلك الطَّوطَم المقدّس في القبيلة، فكان فيها سرُّ الخصوبة في الأرض، فكانت الأرض إلها ورمزا؛ لتكون الأمومة هي المعبود(٣)، لتتطوّر هذه العلاقة في الشعوب البدائيّة إلى ما يُسمّى بدور الأمومة؛ باعتبارها الأصل الأول، ولعب هذا الأمر دورا مهمّا في التعيين القبليّ لدى العرب، فساهمت هذه الطوطميّة في ولادة القبائل العربيّة(١٩)، هذا وإضافة إلى المكانة التي لا يمكن تجاهلها للمرأة كانت الطبيعة البشريّة في تعيين أشكال العلاقة بين المرأة والرجل تبرز مركزها ومكانتها اجتماعيّا وعاطفيّا؛ إذ تشكّل المحور التّام الذي يعيش به الرجل في هذا الجانب، ولا يُستثنَى من ذلك إلا القليلون؛ وأما الرّوحيّون من الصّوفيّة ومن يشبههم في العلاقة النظرة العذريّة والحبّ الإلهيّ فكانت مصدرا وموجّها أساسيّا لتجاربهم، فخرجت تجارب فنّية كانت المرأة فيها روحا معنوية حرّة.

أسهمت المرأة في التغيير بظهور الدين الإسلاميّ؛ كما كانت تسهم على امتداد التاريخ في التغيير بعيدا عن الإسهام النسويّ؛ بل باعتبارها عنصرا اجتماعيّا غير مشروط بالجنس، لكنها فقدت كثيرا من حُرّيتها التي كانت عليها قبل الإسلام، إذ تطوّر المجتمع العربيّ نحو الأبويّة الذّكوريّة في الدولة ذات الجوهر السّياسيّ، والتشريعيّ؛ فكانت قيود المرأة أشدَّ من قيود الرجل في ظلّ قيد حُريّة الأفراد، على الرغم من حصولها على حقوق مختلفة كانت مفقودة في حياتها(٨)، ومع هذا التطوّر كانت علاقة الرجل بالمرأة ونظرته تأخذ كذلك أبعادا أخرى تتعلّق بالطبيعة والاكتمال، فالرجل والمرأة قطبان لإنسان واحد، يتفاعلان في حقيقة واحدة لاستمراريّة الوجود المادّي على الأرض، وواقع هذه الظاهرة البيولوجيّة الحبّ أو التّجاذب المادّي، ويعني القيمة الحقيقة للأثر الشعوريّ في الفنّ، ويجد فيه الأخير انعكاسه وملموسه؛ في أي شكل من أشكاله، هذا هو التّداخل وبؤرة الصّراع الداخليّ في كائن واحد، حيث هو الإنسان بشكلين مختلفين.

تقول أنّا دانيال عن الحبّ في كتابها (المرأة الحبُّ): « فالمثل القديم الذي يقول عن الحبّ: إنّه هو الذي يحرّك العالم يكاد يكون صحيحا بالحرف الواحد، فإنّ إشباع الذّات لدينا هو يقينا المحرّك لكل ما نعْمل»(١٤)، ولهذا كان هذا الجانب هو مشكّل مواقف الإنسان من أوجه الحياة بمنظاره؛ إذ هو الدافع الأوّل للاستمراريّة؛ لأنّه الفرق بين الإنسان وبقيّة الكائنات التي تقودها الغرائز، فعلى الرغم من أهميّة الجنس باعتباره غريزة بقاء؛ لكنّ الدوافع النفسيّة الاجتماعيّة هي ما يسمو بنفسانيّته عن بيولوجيّته المرتبطة بجانبه الجنسيّ الضّروريّ.

من هنا كانت العلاقة بين الرّجل والمرأة في هذا الجانب النفسيّ شائكة بحضور الصّراع بين الحسيّ والمعنويّ، لكنّ المرأة باعتبارها المصدر العاطفيّ الأول وجّهت هذه العلاقة إلى مواقف مختلفة؛ تدخّلت فيها الثقافة السائدة والأنساق، كما أنّها امتزجت بمواقف ذات عمق إنسانيّ استجاب له الشعر لمكانته من الإنسان شعوريّا، هذه الثقافة ولدت في بيئة الفكر والمذهب الدينيّ؛ فكانت مطبوعة به؛ وبدورها أسهمت في تشكيل الخطاب الشّعريّ، والدلالة النسقيّة ــ كما يرى الغذّاميّ ــ « ترتبط في علاقات متشابكة نشأت مع الزّمن لتكون عنْصرا ثقافيّا أخذ بالتّشكّل التّدريجيّ إلى أنْ أصْبح عنصرا فاعلا، لكنّه وبسبب نشوئه التدريجيّ تمكّن من التّغلغل غير الملحوظ «(٩)، أو ربّما انشغل التلقي عنه بنواحٍ أخرى كالجماليّات المتعدّدة في النصوص الأدبيّة، أو الصّورة الشعريّة، ولا يمكن أنْ تتخلّص التجارب بأنواعها من النسقيّة، فلا يمكن بداية أنْ يخلو العمل من أيّ أفكار لأنه لا يولد من فراغ، ودلالة النّسق منغرسة في الخطاب ثقافيّا مستهلكة من قِبل جماهير اللغة(١١)؛ المتحدّثة بلغته.

ثالثا: تمثّلات المرأة في الخطابين السّني والشّيعيّ

كما أشرنا سابقا إلى دور الاختلاف بين المذهبين في تشكيل هذه التّمثلات، وما سيعنينا هنا هو تتبّع هذه التّمثلات التي أنتجها الفكر المذهبي وتطوّره بعد ظهور الإسلام وظهور هذه المدارس بأوجهها الفقهيّة والسّياسيّة، وغيرها ممّا يوجّه التّمثلات في الخطاب الشعريّ، فالتطوّرات السّياسية التي هيمنت بعد ظهور الاختلاف الفكري المذهبي، وتعدد المواقف التي تبنّتها الفرق المختلفة؛ وجهت الحكم إلى توظيف الصراع في خدمة الفكر المذهبيّ؛ كما هو الحال في الدولة العبّاسيّة.

ـ تمثّلات السّيدة عائشة أم المؤمنين :

يقول حسّان بن ثابت (ت٣٦هـ) في السّيدة عائشة (٥٨هـ)؛ من (البحر الطّويل) :

حَصانٌ رَزانٌ مَا تَزنّ بريبَةٍ وتُصْبِح غرْثى من لُحومِ الغوافِل
حليلَة خير النّاس دينًا ومنْصِبًا نبيَّ الهُدى والمكْرُمات الفَواضِل
عقيلَة حيّ من لُؤيّ بن غَالِب كِرام المسَاعي مجْدها غير زائل
مُهذّبة قدْ طيّب الله خِيمَها وطهّرها من كُلّ سُوءٍ وبَاطِل(٢٢)

إنّ القيمة التي تحملها السّيدة عائشة لا ترتبط بإطار تاريخيّ يحاول البعض توظيفه في دراسة العلاقات الاجتماعيّة والدينيّة في فترة النبيّ محمّد ﷺ وما بعده؛ من خلال الدور الفاعل الذي نقلته الأخبار والرّوايات والسّير؛ إنها قيمة ترتبط بالنبي ذاته، فقد أولاها عنايته الفائقة؛ فاستفادت من تواصلها المباشر معه، وكان لها مكانة في بيته؛ مما جعلها مُبلّغة مباشرة لعلمه وناقلة لمعرفته(١٢)، وهذا الارتباط الذي يتجاوز العلاقة والاختيار إلى الاصطفاء الذي يؤمن به أهل السّنة بأنه توجيه من الله دائما للنبي محمّد؛ كما هو في غيره من أعماله ومواقفه، وقد أورد شلبي هذا الاختيار بأنه هديّة محبّة الله للنبيّ(١٦)، ولا يمكن عندهم أنْ يفعل عن هوى.

تمثّل السيدة عائشة في أبيات حسّان همزة وصل ببيت النبوّة؛ والشّك في هذا شكّ في تصرّف النبي ﷺ من الجانب الذي يمسّ الإيمان به، ولذا فهي رمز الطّهر والنقاء، فيردّ الشّاعر على من يمسّ هذا القُدُس المثل للأخريات، وفي الخطاب الذي يعيّن جملة الصّفات تمثّل المرأة القريبة من النبي ﷺ هنا الرباط الذي يوصله بأصحابه؛ إنها مبلّغة العلم وشاهدة الاختيار، ومن حبّ حسّان للنبيّ المرتبط بالإيمان كانت هذه المكانة؛ ويقول حسّان في ذلك (من الوافِر) :

وجبْريلٌ رسولُ الله فينَا وروحُ القُدْس ليسَ لهُ كِفَاء
وقَال الله قدْ أرسلتُ عبْدا يقولُ الحقَّ إنْ نَفعَ البلاءُ
شهدْتُ بِهِ فقوموا صدّقوه فقلتُم لا نقولُ ولا نشَاءُ(٢٢)

فكيف يمكن أنْ تكون في غير هذا المقام؛ فالشعر لم يأت بهذا التّمثل إلا خلاصة فكر ناشئ من عقيدة وإيمان بلورا هذا الحب، وقد انتقل هذا الموقف عبر الأجيال؛ لنجد أصوات تدافع بهذا الإجلال، وبما تمثّله السيدة عائشة للنساء في الخطاب السّنيّ، من مكانة عظيمة؛ وقد هزّت حادثة الإفك قلوب الشعراء ليدافعوا عن رمز الطهر

سيّدتهم عائشة، زوجة النبي محمّد ﷺ، ومن هؤلاء السّيد عبدالحميد الخطيب (ت١٣٨١هـ).

قال من (بحر الكامل):

أعْني بِها محْبوبَة المخْتَار]عا ئشة التي [امتازتْ بخير صِفَات

(...)

وغَدتْ بِحقِ أعْلم الزّوجاتِ بلْ هيَ مرْجع الفُتيا وخيرُ رُواةِ

وهيَ التي بالإفْكِ قَد رُميتْ فبرّها الإلَهُ بمُحْكَم الآيَات(٤)

كيف يمكن أنْ لا تكون عائشة المرأة الأولى على الرغم من النساء اللواتي سبقنها في حياة النبي محمّد ﷺ؛ وكلّ هذا الخطاب الذي أنتجه الموقف والارتباط بسيرة المختار، وهذه المكانة أجبرت الشاعر/الرجل على أنْ يحترم ما استدعته مكانتها من النبي محمّد ﷺ؛ وإلا فالأمكنة والمواقف استحوذ عليها الرجال؛ ولو لم يكن التشكيل من موقف المكانة والتقديس لكانت المرأة خارج إطار الاحتفاء الشّعريّ، ويشير الغذّامي إلى هذه القضية بالتفصيل في كتابه (المرأة واللغة)، وجاء في مقدّمته: « تكشف المرأة عن أن عدوّها الحقيقيّ هو الثقافة، وعن أن الثقافات العالميّة قدْ تمادتْ في تهميش المرأة. وترى المرأة أنّ الدين قد أنْصفها وأعطاها حقّها»(١٠)، ونحن على إثر هذا نتساءل؛ هل كان على المرأة أنْ تنتظر قوّة خارج الاعتراف البشريّ لتكون شكلا آخر للبشريّة كما هي في حقيقتها.

نعم ترى المرأة في الإسلام منصفا؛ لكننا نعتدّ بما تحقّق في أرض الواقع مقابل ما يجب أنْ تعيشه المرأة باعتبارها الوجه الآخر للبشريّ بكل مشاعره ومواقفه، وماذا سننتظر من خطاب الشعر أكثر من حاجته إلى التوجيه العقديّ لينظر الشعراء فيه إلى مكانة المرأة، وبهذا المنظار كذلك كانت المرأة تمثّل الشرّ والفتنة، بل هي أصل خبث الرجل وسوء خلقه، وإذا ما هجا الشاعر أصاب أمّ المهجوّ، كما نجد في هجاء الأخطل (ت٩٢هـ)؛ من (البسيط) :

بِمعْرضٍ أو معْبدٍ أو بني الخَطَفى ترْجو، جريرُ مُساماتي وأخْطَاري

قَومٌ إذَا اسْتَنبحَ الأضْيَاف كلبُهم قَالوا لأُمّهم: بُولي علَى النّارِ

فَتُمسِكُ البَولَ بُخلا أنْ تجود بهِ وما تبُول لَهُم إلاّ بمقْدار(٢٣)

وعنْدما نحاول أنْ نعتمد على الخلُق البشريّ الذي يبقى الجزء الأهم في احترام المرأة في أي منزلة تكون؛ فإننا ندرك أنّ ما يشير إليه الغذّامي يرتبط بالجزء السّيء في الرجل، « فالموقف من التأنيث ــ كما يرى ــ هو الكاشف عن الموقف الفحوليّ من الآخَر والمهمّش، مع ما تمنحه الذّات كمذكّر لنفسها من سُلطان على الأشياء والعالم والآخر (الأخْرى)»(١٠) ، وأين ستكون المرأة أمام هذا السّلطان المستحوذ على الطبيعة البشريّة، وتقرير العادات، وتحديد مصير غيره من الكائنات، وعلى رأسها وجه البشريّة الآخر؛ والذي يأتي في الأصل وجهها الأول؛ باعتبار الأم التي تضحّي لولادة هذا الذكريّ المتسلّط على جنسه البيلوجيّ، ومهد خلقه ونشأته.

لماذا لم يتجاوز الأخطل فكرة الأم إلى فكرة الإنسان الآخر الذي يقرّر اختيار ما يحقّق له صفاته، لقد وجد ثقافة سائدة وأعرافا لم يستطع الدين ــ إنْ كان كما تراه المرأة ــ تخليصها من هذا التّسلط، من الجانب البشريّ، فضلا عن الأخلاقيّ الذي يعني احترام الأمّ؛ باعتبار أنّ للشاعر أما حرص الدين على تشكيل منظومات احترامها الإنسانيّ.

قال حسّان بن ثابت هاجيا؛ من (الكامل) :

مَنْ مُبْلِغٌ صَفْوان أنّ عجوزَه أمَةٌ لجارِهِ معْمرَ بن حبيب

أمَةٌ يُقالُ من البراجِم أصْلُها نَسَبٌ من الأنْسَاب غيرُ قريب

سائِلْ بحنْبَلَ إنْ أردْتَ بيَانها مَاذا أرَاد بخرْبِها المثْقُوب(٢٢)

مثّلت المرأة هنا الفشل الذريع الذي خرج منه موقف صفوان العدائيّ، وإنْ اشتركت أمه في الموقف؛ فستبقى آخر لا يشترك فكرا مع صفوان، لكنّ الاسْتعانة بمحدّدات المجتمع الذي كان في بداية عهده بالإسلام تسهم في تشكيل صورة المرأة الشريرة التي تنتج أمثال صفوان في مواقفهم، ويكفي أنْ نرجع إلى الثقافة المتأصّلة والمتجذرة في الوجدان وفي العقل الذّكوريّ، بل وتجدّد نفسه(١٠)، ويمكن الرجوع على سبيل المثال إلى كتاب (العرب والمرأة) لخليل كريم؛ للوقوف على التّراث المعجميّ حول النظرة الغليظة، والتي تُرى بها المرأة وتوصف(٢١)، لنصل إلى الثقافة المتوارثة والمؤثّرة في رؤية المرأة تهمة سلوك الرجل السلبيّ.

هل أنصف الخطاب المرأة حين مثّلت الحبيبة والمعشوقة الأثيرة، بل إنه لم يكن للحبّ معنى من غيره؛ فقيس جمال كلّ شيء بها، واكتسبت الأشياء المحسوسة شهرتها بتشبيه المرأة بها؛ فمن أين عرفنا بجمال القمر قديما، ومن أين رأينا اتّساع عيون المها، « وما زالت المرأة ملهمة للأدباء الشعراء وقد شغلت حيّزا وافرا من وجدان الإنسان العربيّ، حيث كانت المرأة منذ العصر الجاهليّ حتّى نزار قبّاني هي ثلاثيّة: الأنوثة والجسد والهويّة «(٢٦)، وقد مثّلت المرأة في الخطاب العاطفيّ هذا خير تمثيل.

يقول كُثيّر عَزَّة (ت١٠٥هـ)؛ من (البحر الطويل):

فَلا يحْسبُ الوَاشونَ أنّ صَبَابتي بِعزّة كانتْ غمْرةً فتَجلّت

فأصْبحتُ قدْ أبْللتُ من دَنَفٍ بها كمَا أُدْنِفت هيْفَاءُ ثمّ اسْتبلّت

فوالله ثمّ اللهِ لا حلّ بعْدها ولا قبْلها من خُلَّةٍ حيثُ حلّت

ومَا مرَّ من يومٍ عليَّ كيومِها وإنْ عَظُمتْ أيّامُ أخْرى وجلّت

وحلّتْ بأعْلى شَاهِقٍ من فؤادِه فلا القلبُ يسْلاها ولا النّفْس ملّت(١٨)

لم يكُن الغزلُ العُذريّ ترفا لكنّه كان ردّة فعل قسوة التّرف على النّفس، وكان انعكاس احترام الحبيبة، ولقد كان لهذه الظاهرة إرْهاصات سبقت ازدهارها في العصر

الأمويّ(٢٤)، وقد مثّلت المرأة فيها البشريّ الملائكيّ المقدّس في نظر عاشقها المُتيّم، وقد صحب الحرمان هذه الظاهرة؛ ممّا زاد من هذا التّمثّل، فعزّة بقيت في مكانتها بقلب كثيّر، لتمثّل النقيّ (لا حلّ بعْدها ولا قبْلها من خُلَّةٍ حيثُ حلَّت)، ولهذا كان لهذا الشعر أنْ يسهم في ولادة التّصوّف؛ لما يحمله من جانب روحيّ ووفاء للمعشوق.

تمثّلات السّيدة فاطمة الزّهراء:

في جانب الخطاب الشّيعيّ نجد أن فاطمة الزّهراء(ت١١هـ) تمثّل القداسة التي تشكل حبّ أهل البيت، ونظر مفكّرو الإسلام إليها قدوة المجتمع نساءً ورجالا، وبقيت فاطمة أيقونة الإصلاح التي تحرّك مشاعر المؤمنين المحبّين لبيت النّبي محمّد ﷺ؛ وإنْ كانت المشاعر لدى الشّيعة تؤجّج بأثر ذكرى الآلام؛ لكن لهذا الحبّ جذوره، ولهذا التقديس والتّمثّل تاريخه، ففاطمة الزهراء « أخذت مكانها الرفيع بين أعلام النساء وفي التّاريخ، لأنها بنْت نبيّ، وزوجة إمام، وأم شهداء ...فهي أصل قوى من أصل الدعوة التي نبتت في مجرى الزمن أجيالا طوالا ولم تزل لها آثارها في عصرنا هذا، وفيما يلي من العصور «(٧)، ومن هنا كانت المكانة التي جعلت عائشة أيقونة المثل الأعلى في الخطاب السّني؛ جعلت فاطمة كذلك في الآخر الشّيعيّ، يقول شريعتي في الدعوة إلى فاطمة القدوة:

«إذا القضيّة الأساسيّة تتلخّص في كيفيّة الفهم، فالشيعة الذين يتمسّكون بأهل البيت عليهم السّلام بقوّة وصراحة ووضوح؛ يعتبرونهم مظهرا للقيم النّبيلة السّامية، على اعتبار أنّ مُثُلهم وقيمُهم لا تختصّ بقوم دون غيرهم»(١٥)، فالعلاقة التي يراها شريعتي بين فاطمة ومحبّوها يجب أنْ تكون فاعلة في شموليّة التّأثير، ومفكّر مثل شريعتي يدرك تمام الوسطيّة بين الحب العميق والمصلحة الإنسانيّة، ولكن من جانب آخر يخصّ ما نحن بصدده؛ نجد امتداد هذه المكانة لتشمل المعاني السامية والقيم المتعلّقة بالمجتمع.

وفي دعوته للفهم يقول:

«أمّا عن كيفيّة الفهم، وكيفيّة استقاء العبَر والدروس من سيرة حياة فاطمة مثلا، ومن أسلوب حياتها، ومن دورها الاجتماعيّ والفكريّ والدّينيّ؛ فهذه قضيّة ذات أهميّة، حيث يجب أنْ تنصبّ جميع جهود المثقّف الملتزم في هذا المجتمع على الفهم الصّحيح للثّقافة الشّيعيّة وللمذهب الشّيعيّ وعلى الوعي النّاضج لتاريخ الإسلام ودين الإسلام، لأنّ الفهم الصحيح مفتاح تجارتنا جميعا. ومن جملة ما ينبغي فهمه على نحو صحيح هو فاطمة عليها السّلام»(١٥).

يرسم شريعتي في خطابه للمثقّف الذي يراه ملتزما خطوط الفهم الصحيح للدعوة التي يتمثّلها الفكر الشيعي من خلال سيرة فاطمة ودورها، ويرى كما يظهر من كلامه خطورة الفهم الخاطئ الذي يؤدّي إلى الإساءة إلى المنهج الفاطميّ الصحيح الناضج في تاريخ الإسلام، لكننا سنعود إلى ما مثّلته فاطمة ونماذج أخرى في جانب آخر في الخطاب الشّيعي القديم شعرا.

قال دعبل الخُزاعيّ (ت٢٢٠ه) من (البحر الطويل):

وإنْ فخروا يَومًا أتَوا بمحمّد وجبْريلَ والفرقَان ذي السُّورات

وعَدّوا عليّا ذا المناقِبِ والعُلا وفاطِمةُ الزّهراء خيَر بنَات

وحمْزة والعَبّاس ذَا الهَدي والتُّقى وجعْفَرا الطّيَّار في الحَجَبَات(٢)

تمثّل الزّهراء القدوة التي يرسمها الشّاعر ثمرَة أسرة لا يمكن نكران فضلها ومكانتها بأي حال من الأحوال، وكما أشار العقّاد سابقا في كلامه بأن الزهراء أصل قوى من أصل، ولهذا كان الخطاب يوظّف النسب الذي يحقّق استمراريّة هذه المكانة حتّى يومنا هذا، ومهما كان الخلاف الفكريّ قائما بين السّنة والشيعة؛ لكنّ ذلك لا يمكن أن يغيّر مكانة شجرة النّسب هذه لدى الفريقين، وما يبقي هذا التمثّل اليوم هو ما يستند عليه الخطاب من ركائز عقديّة، وحبّ الفريقين لبيت النّبي ﷺ؛ وإنْ اختلف التوظيف الذي ينحو بالخطاب إلى غايات مختلفة، ويرى الغذّامي أننا نعيش في كثير من الأحيان ــ تواطئا مع الشعر ــ وهمًا بأن الشعر لا صلة له بسائر الخطابات والسّلوكيات، باعتباره مجازيا بعيدا عن الواقع والمنطق، وأكّدت وما زالت النظريّة الأدبيّة والجانب النقدي منها يؤكّدان ذلك(١١)، لكنّ الفكرة الثّقافية تشكل المحيط الذي يولد فيه الخطاب الموجّه بالذات، ولهذا كان كل فريق يبني خطابه الشّعريّ على أسس الموقف والولاء، فكان الفكر مادّة الخطابين السّني والشّيعيّ.

تمثّل فاطمة الزهراء في نصّ آخر للخزاعيّ مأساة نكبة المسلمين في الحسين، فيحيط المشهد الحزين بلون التلاشي والحزن الذي لم يتوقّف حتّى يومنا، وإنْ تطوّرت القضيّة وفتحت لها مسالك للبحث؛ لكنّ النكبة تولد بشكل مستمرّ، إذ يسهم الخطاب في إذكاء وجع الحُسينيّات الشّيعيّة:

قال من (البحر الطويل):

أ(فاطِمُ) لَو خِلتِ الحُسينَ مُجنْدَلا وقَدْ مَاتَ عطْشَانا بِشطِّ فُراتِ

إذَنْ للطَمْتِ الخدّ (فَاطِم) عنْدَه وأجْريتِ دمْع العَينِ في الوجنَات

أ(فَاطِم)قومييابنَةَالخيرَواندبيِنُجومسَماواتٍبأرْضِفَلات(٢)

يقيم الخزاعيّ مشهده على المأساة التي يجعل من الزهراء بؤرة الحزن العميق فيها؛ وأيّ قلب لا يتفطّر لهذا المشهد الذي تتقدّمه أيقونة الحزن على الحسين، والتي تجمع بين مكانتها في بيت النبيّ ﷺ وقربها من الشّهيد، « وقتل الحسين .. وذهب الأمل في دولته ودولة الطالبيين من بعْده إلى أجل بعيد، ولكنّه كان يُشْتم بالكلمة العوراء فيهون على الرجل من أصحاب الأريحيّة أنْ يموت ولا يصبرُ على سماع تلك الكلمة أو يترك الجواب عليها «(٦)، ولكنّ صوت النّدب بفاطمة الزهراء استمرّ، فهي تمثّل إلى جانب المأساة الحقيقة وأم الشهداء حتّى اليوم.

يقول اليعقوبيّ (ت١٣٨٥) من شعراء القرن الرابع عشر الهجريّ في رثاء الزهراء؛ من (بحر المتقارب):

إلامَ لـواؤكَ لا يُـنشَـرُ وحـتّى م سيفُك لا يُشْهرُ

فكمْ أكْبدٍ لـك مـن شوْقِـها تَـحِـنُ وكـم أعْيـنٍ تـسْهرُ
أتـغْضي وأسْـيافُ أعدائكـم إلـى اليَـومِ مـن دمكِـم تقْطِـرُ
أتنـسى القتـيلَ بـمحْـرابهِ لـهُ الـرّوح يبْكـي ويسْـتعْبِرُ

إلى أن يقول:

تُخانُ وديعَة طَـه الأمين لَـديْـهم وذمّتـه تُـحْـفَـرُ
ويمْنعُها القومُ حتّى البُكاء عليـهِ وعـنْ إرْثه تُنهَرُ(٢٠)

فهـل سـيفرغ الخطـاب الـذي يجعـل مـن الزهـراء قضيّـة عالميّـة، حمّلهـا بـكاء التاريـخ وظلـم الطغـاة، بـل تحوّلـت إضافـة إلـى مكانتهـا عنـد محبّوهـا إيمانـا وعقيـدة إلـى أيقونـة كفـاح، واسـتنهاض ضـد الظلـم والوقـوف مـن أجـل الحريّـة.

حاولنـا أن نعـرضَ بعـض تمثّـلات المـرأة فـي الخطابين السّـني والشّـيعي مـن خـلال أنموذجيـن يرتبطـان بفكـر المذهبيـن، وهمـا السـيدة عائشـة وفاطمـة الزهـراء، وتبـدو الكثيـر مـن التّمثـلات متشـابهة ومتداخلـة مـن حيث التوظيـف الـذي اسـتغلّ المكانـة التاريخيّـة والدينيّـة، وبقـي بعـض الملامـح التـي تعـود إلـى القضايـا الرئيسـيّة التـي تعـود إليهـا بعـض أوجـه التمثيـل، وهـذا الـدور يلعبـه الوعـي الـذي يتطـوّر تاريخيّـا عبـر الأفـراد المسـاهمين فيـه، وتلعـب المـرأة باعتبارهـا وجهـا بشـريا فاعـلا دورا كبيـرا فـي تأسـيس وتوجيـه هـذا الخطـاب فـي منافسـتها لمكانـة الرجـل ثقافيّـا ومدنيّـا.

الخاتمة

الشـعر كغيـره مـن الخطابـات يتشـكّل فـي موضوعاتـه بتأثيـر المحيـط والتّنـور الثقافـيّ، ونظـام رسـالته اللفظيّـة تحمـل مؤشّـرات السـياقات الثقافيّـة فـي النّظـام اللفظـيّ بتنـوّع المقاصـد فـي النّسـق الاجتماعـيّ؛ لكنـه يختلـف عـن غيـره مـن أشـكال الخطـاب بخاصيّـة فنيّـة تولـد مـن التشـكيل والتلقـي؛ فـلا يمكـن أنْ يفتـح فـنٌّ أدبـيّ آخـر للقـراءة مثـل مـا فعـل الشّـعر؛ فالمـادّة التـي يشـترك فيهـا الشـاعر مـع الآخريـن تتحـوّل مـن خـلال الفـنّ إلـى عمـل إبداعـيّ هـو نتيجـة حساسـيّة الموقـف تجاهها، يجعـل الموضوعـات المتولّـدة مـن المواقـف أكثـر حساسـيّة. يعتمـد الشـعر فـي بنـاء خطابـه علـى المـادة المشـتركة بيـن النـاس الناتجـة مـن تأثيـر الإيمـان والاتجاهـات والمواقـف بصنـع علاقـات مختلفـة ممـا هـو عميـق ومتجـذّر فـي الـذّوات، مرتبطـا بالمكانـة والقداسـة والإيمـان.

شـكلت المـرأة جـزءا كبيـرا مـن بنـاء خطـاب الشـعر جـاوز الجوانـب العاطفيّـة التـي رسـمت علاقتهـا بالرجـل إلـى صـور تعـود إلـى علاقـة الإنسـان بـالأرض والخلْـق، وأخـرى ارتبطـت بالمكانـة والإيمـان والقداسـة والشّـرف، انطلـق الشـعر مـن مواقـف مختلفـة انتقلـت عبـره إلـى الأجيـال؛ لا يـزال تأثيرهـا جليّـا علـى واقعنـا اليـوم. وتمثّـلات المـرأة فـي الخطابيـن السّـني والشّـيعيّ ــ باعتبارهمـا اتجاهيـن مؤثّريـن ــ تشـكل جانبـا مهمـا مـن التجـاور والتداخـل يعيـد إلـى صـورة مشـرقة وظفهـا الخطابـان فـي التقائهمـا عنـد الأصـل وافتراقهمـا فـي بنـاء صـورة الموقـف، أسسـت بهـا المؤسسـة الثقافيّـة دعائـم خطابهـا، شـكلت فيهـا المـرأة قيمـة جماليـة وأيقونـة فنيّـة مقدسـة ومصـدرا روحيـا وصوفيـا، أبـرزت الكثيـر مـن أشـكال الإبـداع الشـعريّ.

ومـع التطـور الفكـري والاجتماعـي بظهـور الإسـلام ولـدت فـي اتجاهـات اختـلاف المواقـف مـن الأثـر الدينـي أبعـاد أخـرى شـكلت مـن مكانـة المـرأة صـورا أخـرى فـي الخطـاب الشـعريّ، عبّـرت عـن إسـهاماتها فـي مراحـل التغييـر المرتبـط بمكانتهـا فـي سـلّم البيـت النبـويّ. عبّـر الشـعر عـن هـذا التطـور بإبـراز كثيـر مـن تمثّـلات المـرأة فيهـا؛ أنتجها الفكـر المذهبـي ومدارسـه بأوجههـا الفقهيّـة والسّياسـيّة. كانـت السـيدة عائشـة زوج النبـي ﷺ وفاطمـة الزّهـراء أيقونتـي القداسـة والحـب النبـويّ المرتبـط بالإيمـان، وظّـف الشـعر مـا يرتبـط بمكانتهمـا فـي رسـم صـورة خطابـه؛ موجهـا التلقـي إلـى معانـي النقـاء والاصطفـاء والـدور الكبيـر فـي بنـاء المجتمـع وإصلاحـه باعتبارهمـا قـدوة الإيمـان والعطـاء والتضحيـة للرجـال والنسـاء، وقـد سـاهمت الخلفيـات المذهبيّـة فـي رسـم خصوصيّـة فنيّـة خطـاب الشـعر بمـا دفعـت بـه التجـارب الشـعريّة إلـى تكويـن مـادة الصـورة الشـعريّة.

خرجت هذه العجالة بمجموعة من النتائج هي:

- كل خطـاب يتـم توجيهـه بالسـياقات الثقافيـة والاجتماعيّـة؛ لأنـه يشـكل مادتـه مـن التأثّـر بهـا، والشـعر واحـد مـن هـذه الخطابـات وإنْ اختلـف بفنّيتـه وتشـكيلاته وخصوصيّـة تلقيـه.
- الشـاعر يوظـف الاختفـاء خلـف المباشـر لصنـع رمـوز وصـور فنيّـة هـي عبـارة عـن تصّـور ذهنـيّ لـه دلالتـه وقيمتـه الشّـعوريّة.
- الدلالـة النسـقيّة تولـد مـن المـوروث والأثـر الفكـري الناتـج مـن المواقـف والمؤثّـرات الدينيّـة والمذهبيّـة؛ وكل اتّجـاه مهمـا كان نوعـه لـه أطـره الخاصّـة فـي مـادة بنائـه وشـكل خطابـه.
- مكانـة المـرأة تعـود إلـى علاقـات الإنسـان بمـا يـدور حـول أصلـه ومواقفـه ومقدّسـاته، فهـي المقدّسـة وسـر الخصوبـة والاسـتمرار والحـب والجـزء العاطفـيّ الأهـم.
- أسـهم الشـعر بتطـور مكانـة المـرأة فـي الإسـلام ومـا تبعـه مـن تشـعّب مذاهبـه فـي توظيـف رمزيّـة هـذه المكانـة المتعلقـة بالإيمـان وحـب النبـي ﷺ وأهـل بيتـه؛ فكانـت المـرأة أيقونـة الطهـر والإصـلاح وقـدوة النسـاء والرجـال. شـكلت منطلقـات المـدح والثنـاء والرثـاء والتوجيـه إلـى الإصـلاح.
- وظـف الشـعر الموقـف مـن مكانـة المـرأة فـي خطابـه المختلـف كلَّ مـا مـن شـأنه أنْ يمـسّ الـذات الإنسـانيّة؛ فكانـت المـرأة الحـب والشـرف والطهـر والقداسـة، كمـا كانـت فـي خطـاب الهجـاء والـذمّ منطلقـا للحـض مـن شـأن الفـرد والعائلـة والقبيلـة.

قائمة المصادر والمراجع

الكتب:

١ـ إسماعيل، عزالدين (١٩٨٤)، التّفسير النفسي للأدب، (ط٤) مكتبة غريب، القاهرة، مصر.

٢ـ الأشتر، عبدالكريم (١٤٠٣هـ/١٩٨٣م)، شعر دعْبل الخُزاعيّ، (ط٢) مجمّع اللغة العربيّة، دمشق، سوريا.

٣ـ البطل، علي (١٤٠١هـ/١٩٨١م)، الصورة الشعريّة في الشعر العربي حتّى آخر القرن الثاني الهجري (دراسة في أصولها وتطوّرها)، (ط٢) دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

٤ـ الخطيب، السّيد عبدالحميد (١٣٦٢هـ)، سيرة سيّد ولد آدم (محمّد صل الله عليه وسلّم)، المطبعة السّلفيّة، القاهِرة، مصْر.

٥. العبد، محمد (١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م)، العبارة والإشارة (دراسة في نظريّة الاتّصال)، (ط٢) مكتبة الآداب، القاهرة، مصر.

٦. العقّاد، عبّاس محمود (١٩٩٣م)، أبو الشهداء الحسين بن علي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر.

٧. العقّاد، عبّاس محمود (٢٠٠٦م)، فاطمة الزهراء والفاطميّون، (ط٥)، نهضة مصْر للطّباعة والنشْر والتّوزيع، القاهرة، مصْر.

٨. العلويّ، هادي (١٩٩٦م)، فصول عن المرأة، (ط١) دار الكنوز الأدبيّة، بيروت، لبنان.

٩. الغذّامي، عبدالله محمّد (١٩٩٨م)، ثقافة الوهم (مقاربات حول المرأة والجسد واللغة)، (ط١)، المركز الثقافي العربيّ، الدار البيضاء، المغرب.

١٠. الغذّامي، عبدالله (٢٠٠٦م)، المرأة واللغة، (ط٣) المركز الثقافي العربيّ، الدار البيضاء، المغرب.

١١. الغذّامي، عبدالله (٢٠٠٥م)، النقد الثقافي (قراءة في الأنساق الثقافيّة العربيّة)، (ط٢) المركز الثقافي العربيّ، الدار البيضاء، المغرب/ بيروت، لبنان.

١٢. النّدويّ، سليمان (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م)، سيرة السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، تعريب وتحقيق: محمّد رحْمة الله حافِظ النّدويّ، (ط١) دار القلم، دمشْق، سوريا.

١٣. تشاندلِر، دانيال (٢٠٠٨)، أسس السيميائيّة، ترجمة: طلال وهْبة، المنظّمة العربيّة للتّرجمة، بيروت، لبنان.

١٤. دانيال، أنّا (١٩٨٠)، المرأة الحبّ، ترجمة: كلير فَهيم، دار المعارف، القاهرة، مصر.

١٥. شريعتي، علي (١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م)، مسؤولية المرأة، ترجمة: خليل الهنْداويّ، (ط٢) دار الأمير للثّقافة والعلوم، بيروت، لبنان.

١٦. شلبي، محمود (١٤١٨هـ/١٩٩٨م)، حياة عائشة أم المؤمنين (رضي الله عنها)، ط(١) دار الجيل، بيروت، لبنان.

١٧. طودوروف، تزفيطان (١٩٩٥)، الشّعريّة، ترجمة: شُكري المبخوت، ورجاء سلامة، (ط٢) دار توبقال للنّشر، الدار البيضاء، المغْرب.

١٨. عبّاس، إحسان (١٣٩٠هـ/١٩٧١م)، ديوان كثيّر عزّة، دار الثقافة، بيروت، لبنان.

١٩. علي، جواد (١٤١٣هـ/١٩٩٣م)، المُفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، (ط٢) دار الساقي، بيروت، لبنان.

٢٠. قسم الدراسات الإسلاميّة (١٤١٨هـ/١٩٩٧م)، فاطمة الزهراء عليها السلام في ديوان الشعر العربيّ، (ط١) مؤسّسة الزهراء، مؤسسة البعثة، بيروت، لبنان.

٢١. كريم، خليل (١٩٩٨م)، العرب والمرأة، (ط١) مؤسّسة الانتشار العربيّ، بيروت، لبنان/ سينا للنشر، القاهرة، مصر.

٢٢. مُهنا، عبدأ علي (١٤١٤هـ/١٩٩٤م)، ديوان حسّان بن ثابت، (ط٢) دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان.

٢٣. ناصر الدّين، مهْدي محمّد (١٤١٤هـ/١٩٩٤م)، شرح ديوان الأخطَل، (ط٢) دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان.

الدراسات:

٢٤ـ الرّبيعيّ، كريم قاسم جابر (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م)، الغزل العذري حتّى نهاية العصر الأمويّ؛ أصوله وبواعثه وبنيته الفنّيّة(رسالة ماجستير)، جامعة البصرة، العراق.

٢٥ـ ملّوك، رابح (٢٠٠٧ـ٢٠٠٨م)، قصيدة النثر وإبْدالاتها الفنّيّة(رسالة دكتوراه)، جامعة الجزائر، الجزائر.

المصادر الإلكترونيّة:

٢٦ـ إدريس، عبدالنور(٢٠٠٥م)، « المرأة المثال في وجدان الشعر العربيّ «، (العدد١٣٩٥) الحوار المتمدّن.